دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت

# الوعد

## تأملات في الميلاد

الأب متى المسكين

كتاب: الوعد (تأملات في عيد الميلاد)

المؤلف: الأب متى المسكين.

الطبعة الأولي: ٢٠١٦ (هدية مجانية)

الطبعة الثانية: ٢٠١٨

مطبعة دير القديس أنبا مقار - وادي النطرون.

ص.ب. ٢٧٨٠ القاهرة.

الناشر: دار مجلة مرقس ص.ب ٣١ شبرا

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر

يُطلب من:

دار مجلة مرقس

القاهرة: ٢٨ شارع شبرا – تليفون ٢٥٧٧٠٦١٤

الإسكندرية: ٨ شارع جرين – محرم بك ت: ٤٩٥٢٧٤٠

أو من: مكتبة الدير

أو من خلال الموقع على الإنترنت:

www.stmacariusmonastery.org

عشرون قرناً مضت منذ وَعَدَ الله إبراهيم والآباء بمجيء المخلِّص والفادي. وعلى مدى هذه السنين الطوال ظلَّ الأتقياء يترقَّبون في كل جيل، عابدين بالجهد «ليلاً ونهاراً» (لو ٢: ٣٧)، وكل جيل يسلم وديعة الترقُّب الحار الذي لا يخمد إلى الأبناء ثم يرقدون على الرجاء!

وفي هذا الشعور المرهف الحساس، الذي يترقَّب تتميم الوعد في كل يوم وكل لحظة، كان الملهمون يقرءون النبوات ويطبِّقونها على الحوادث لعلهم يحصلون على شيء من ملامح القادم أو قرب الزمان.

ولم يستطع طول الزمان أن يُضعف حركة هذا الترقُّب، ولا الحوادث الجسيمة استطاعت أن تخمد هذه النار المتأججة، بل على النقيض كانت خفقات القلب تزداد بمرور الزمن، ولهيب الشوق يشتدُّ بعصف الحوادث، وكأنما المسيَّا الآتي من وراء الزمن تستدعيه الأيام وتتعجَّله الحوادث!!

ولما بلغت المحنة أقصاها، كان قد بلغ الترقُّب غايته ووقف المنتظرون على أصابعهم بإحساس مَنْ قد بلغ النهاية، ونفوسهم تتطلَّع بأقصى جهد «**نحو أربع وثمانين سنة** لا تفارق الهيكل عابدة بأصوام ليلاً ونهاراً **مع جميع المنتظرين فداء في أُورشليم**» (لو ٢: ٣٧).

وفعلاً كانت الأيام قد بلغت مِلْئها، وكفَّ الزمان عن دوراته الفارغة، ثم أُعطيت الإشارة من لَدُن القدير لظهور ابن الله في الجسد ليكون هو **المسيَّا** الموعود به "**مسيح الرب**" و"**المخلِّص**" و"**الفادي**": «**ولما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة، مولوداً تحت الناموس، ليفتدي**

**الذين تحت الناموس لننال التبني.»** (غل ٤: ٤،٥)

هذا هو **الغصن**، الذي نبتَ من جذع يسَّى، **الأسد** الخارج من سبط يهوذا.

«شيلون»، أي **رجل السلام، الكوكب المُشرق** من سبط يعقوب...

**بذرة إبراهيم** الذي تتبارك به كل ممالك الأرض ويَرُدُّ الفجور عن إسرائيل...

**نسل آدم**، العتيد أن يرفع ذُلَّ بني آدم، ويسحق رأس الحيَّة...

هذا هو **الناقض لهيكل الحجارة** الزمني فخر إسرائيل المنهدم، والباني لهيكل الروح في قلب الإنسان!

هذا هو الوسيط، **والمُصالِح** للأرض مع السماء، **والشعب** مع **الشعوب** والنفس مع الجسد!

**هذا هوَ المسيح**، الذي خرج نوره إلى أقصى الأرض، الذي لم يعرف له العالم مثيلاً أو شبيهاً أو مُعادلاً.

**ابن الإنسان**، الذي وُلد من عذراء، وعاش بلا خطية، ولم يوجد في فمه غش.

**ابن الله**، الذي علَّم بسلطان، وكان كلامه روحاً وحياة، له قدرة الخَلْق والإقامة من الأموات!

**كلمة الله**، الذي أنار بشخصه في وسط العالم طريق الحياة والخلود، وأسَّس في قلب الإنسان ملكوت الطهارة والقداسة والمحبة والسلام!

**الراعي الصالح**، الذي ما يزال يقود قطيعه في كل الأُمم إلى مَرَاقي القداسة والحق، الذي قدَّم نفسه، مرَّةً، **فِدْية عن الخروف الضال.**

فإن كان قد رفضه اليهود الصالبون غير الأتقياء، لأنهم لم يروا فيه عظمة المسيَّا كما توهَّموه، بقوة الذراع وبأس السيف وسطوة الذهب، فعلى كل حال قد أكمل المسيح كل أعمال المسيَّا ولم يتبقَّ من بعده عمل واحد لمسيَّا آخر يأتي، إلا الدينونة المزمعة أن يكملها على كل الذين رفضوه وأهانوه وأحبوا الظلمة أكثر من النور.

وإن كان قد اليهود ترقَّبوه مولوداً في «قلعة قصر في بيت لحم»، **حسب ما فسَّره بعض الربيين وعلماء التلمود لأقوال ميخا النبي، فميلاده في مذود للبهائم حطَّم كل كبريائهم وحَجَزهم عن الإيمان به**، كما أثبت ضمناً أن **قصة الميلاد من وضع إلهي دُبِّرت بعناية فائقة لتناسب اتضاع الخلاص وليست من نسيج كبرياء الإنسان!**

شهر ديسمبر ("تب هث" اليهودي) في فلسطين وإن كان ليس مطيراً نسبياً، إلا أنه من أشد شهور السنة برودة. لذلك كانت الرحلة من الناصرة إلى بيت لحم، والتي استغرقت ثلاثة أيام كاملة[1] شاقة للغاية ومجُهِدة للعذراء أقصى إجهاد. وما أن انتهى يوسف ومعه مريم القديسة من الاستقرار في المغارة الملحقة (بالخان)[2] والمعدَّة (للركايب أي الحمير) - إذ لم يجدوا مكاناً

١ لقد فضَّل يوسف على وجه الترجيح أن يتفادى المرور بالسامرة جرياً على عادة اليهود، فاضطر أن ينحدر شرقاً ويسير بمحاذاة ضفة الأردن الشرقية، ثم يعبر الأردن قُبالة مخاضة أريحا ثم ينحدر جنوباً بغرب نحو بيت لحم، وسواء اتخذ هذا الخط أو سار عبر السامرة فالرحلة من الناصرة إلى بيت لحم لا يمكن أن تستغرق أقل من ثلاثة أيام كاملة.

٢ «الخان» هو المنزل المُعَدُّ لنزول المسافرين وقد وردت الكلمة κατάλυμα بهذا المعنى في الترجمة السبعينية خر ٤: ٢٤، وكان الخان قديماً يحتوي بالضرورة على مكان لاستراحة الركايب. والتقليد الكنسي ينص على أن المزود المذكور في الإنجيل أنه هو الذي وُلِدَ فيه المسيح، كان عبارة عن المكان الذي يوضع فيه التبن لتأكل منه البهائم، وكان داخل مغارة منحوتة في الجبل. وهي الآن المغارة التي بُنيت فوقها كنيسة الميلاد ببيت لحم، وهذا يدل على أن المغارة كانت ملحقة بالخان.

في (الخان) نفسه؛ حتى بدأ يرخي الليل سدوله لأن نهار الشتاء قصير... فأسرعوا وأفرغوا ما في (الخُرْج أي الحاوية التي تضمُّ أدواتهم) من أدوات السفر والأكل والملابس القليلة والغطاء الذي افترشوه، وجلسوا ليستريحوا.

كان كل شيء حولهم غير مناسب ولا يمكن أن يقبله ذوق أي إنسان، وبالأخص لو أدخل في الحسبان احتمال حدوث "وضع" في هذا المكان بهذه الظروف، ويكاد الإنسان بمشقة أن يضبط قلمه من أن يسترسل في وصف صعوبة هذا الحال وبؤسه، كرامة للمولود! ولكن من ناحية أخرى **مهمة وذات اعتبار جوهري**، أن هذه الظروف بعينها كانت تتناسب كل التناسب مع مشيئة يسوع المسيح نفسه إذ أراد أن يدخل إلى العالم بهذه الكيفية تماماً!!

ألم يَقُلْ هو نفسه بعد ذلك "**طوبى للمساكين**"؟

كان ممكناً، لو تقدَّموا يوماً أو بعض يوم، أن يجدوا مكاناً أو ربما غرفة خاصة، ولكنه كان قد أَضْمَرَ أن يسند رأسه أول ما يسنده في مذود للبهائم! ألم يَقُل هو نفسه فيما بعد أن: «**ليس لابن الإنسان أين يسند رأسه**» (لو ٩: ٥٨)؟ إنه حقًّا قد جاء ليجعل الراحة الحقيقية ليست للجسد وإنما للقلب! كما نوى بالفعل **أن يجعل من تعبه راحة للمتعبين!**

هو فضَّل أن يولد بين البهائم الطيبة، ليس لأنه كان يكره الإنسان في شرِّه، أبداً، ولكنه تنازل عن مكانه في الخان لإنسان آخر رآه أكثر حاجة!

لقد اختار أن يولد في هذه الظروف العجيبة: «الاكتتاب العام» أي التعداد، **لكي يأخذ رقماً رسمياً كمواطن على الأرض!** و«مولوداً تحت الناموس ليفتدي الذين تحت الناموس.» (غل ٤: ٤ – ٥)

ولم يكن جزافاً أن يأتي مجيء أُمه إلى بيت لحم قبل الميلاد، بل هو قصد ذلك منذ الدهر إذ تكلَّم الأنبياء عن هذه المشيئة، لأنه شاء أن أول نسمة هواء تدخل صدره تكون من "**بيت لحم**" التي ترجمتها "**بيت الخبز**" - لأنه نوى منذ الدهور أن يقدِّم جسده قرباناً لأبيه وخبزاً حيًّا للعالم: «**لذلك عند دخوله إلى العالم** يقول ذبيحة وقرباناً لم تُرِد ولكنك **هيَّأت لي جسداً... ونحن مقدَّسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرَّة واحدة**» (عب ١٠: ٥، ١٠)، «**أنا هو الخبز الحي النازل من السماء... الخبز الذي أنا أعطيه هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم.**» (يو ٦: ٥١)

لم يكن مع العذراء في ساعة الوضع أي إنسان - ولعلَّ يوسف أيضاً كان في الخارج - لأن الكتاب لم يذكر عبثاً أنها هي بنفسها «قمَّطته وأضجعته في المذود إذ لم يكن لهما موضع في المنزل» (لو ٢: ٧). ولم يقصد الرب هذا في نفسه ولأُمه ترفُّعاً عن معونة الناس ولكن **حفظاً لسر الميلاد**، لأن عجيبة ولادته من البتول يليق بها التحفُّظ والكتمان؛ ولقد حرصت العذراء في سردها لهذه الظروف سواء للقديس لوقا كاتب الإنجيل أو لغيره أن يظل هذا السر مغلقاً دون استقصاء. ولكن ليس عسيراً على العقول الطاهرة النقية أن تلمح من وراء هذا الحجاب الصامت الملقى على القصة، بدقة وعمد، أبعاداً أخرى من الوقائع التي قد يكون سردها هنا أيضاً خروجاً على مشيئة الوحي!

ولكن على أية حال فهذا الاقتضاب (أي الاختصار) الشديد في كشف

وقائع الميلاد، وإن كان فيه إجحاف بالبشرية المتعطِّشة لمعرفة المزيد من ظروف أعظم ميلاد حدث على وجه الأرض لأعظم إنسان ظهر في الوجود، إلا أن هذا الاقتضاب عينه يرتفع بنا إلى مستوى الروح لنقدِّم الوقار الفائق واللائق بالأم البتول، وننحني ساجدين لهذا الطفل الإله الذي خرج من حضن الآب السماوي ليلتقي بنا في المذود! نعم كان يليق فعلاً بالإنجيل هذا الأسلوب الإلهي المبدع لأن عبارات البشر مهما طالت ودقَّقت، فهي ستقف في النهاية عاجزة عن وصف دخول المسيح إلى العالم!

**لقد جاءت قصة الميلاد مخُيِّبة لكل آمال اليهود وتقاليد شيوخهم، فكَوْن المسيَّا يولد في مذود للبهائم شيء لا يطيقه العقل اليهودي، وقد قصد رب المجد أن يجعل من ميلاده آية اتضاعه حتى لا يؤمن به العقل إلا إذا انحنى إلى مستوى المذود، كما جعل صليبه آية طاعته العُظمى للآب حتى لا يخلص به إلا الذي ينحني تحت ثقله وعاره!**

## الرعاة المتبدُّون[٣]:

كان من الأمور الثابتة لدى الكهنة والربيين أن ميلاد المسيَّا سيتم في بيت لحم طبقاً لنبوَّة ميخا النبي «أما أنتِ يا بيت لحم أفراتة، وأنتِ صغيرة أن تكوني بين ألوف يهوذا، **فمنكِ يخرج لي الذي يكون متسلِّطاً على إسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل.**» (مي ٥: ٢)

٣ - المتبدُّون: أي المقيمون في البادية (أي الصحراء).

ولكن من المدهش حقًّا أن تمتد حساسية الأنبياء وقدرة المفسِّرين إلى تعيين كيفية البُشرى بميلاد المسيَّا ومكانها!! إذ يُعلِّق عليها كتاب "الترجوم"[٤] في شرحه عرضاً لسفر التكوين للآية ٢١ من الأصحاح الخامس والثلاثين - أن في المكان المذكور باسم «برج القطيع» «ميجدال عدر» (انظر: تك ٣٥: ٢١) سوف تُعلَن بُشْرى ميلاد المسيَّا، وذلك اعتماداً على ما جاء في سفر ميخا النبي (٤: ٨)، الذي فيه يقول: «وأنتِ يا برج القطيع (**ميجدال عدر**) أكمة بنت صهيون، **إليكِ يأتي ويجيء الحكم الأول ملك بنت أورشليم**».

و«برج القطيع» هذا، أو «ميجدال عدر كما جاء باسمه العبراني» في سفر التكوين، هو بُرج مشيَّد على أكمة في حدود بيت لحم على الطريق نحو حبرون، وهو المكان الذي خيَّم فيه يعقوب بعد موت راحيل امرأته المحبوبة. والذي يقرأ في كتاب "المِشنا"[٥] يجد أن هذا البرج قديم، وكان يستخدمه الرعاة حُرَّاس قطعان الغنم الذين يُوكَل إليهم رعاية الغنم المخصصة للذبائح الهيكلية، وهي القطعان الوحيدة التي كان يُصرَّح لها بالوجود داخل حدود المدن وخاصة بالقرب من أُورشليم، وذلك لا يكون على مدار السنة بل في الأشهر المطيرة فقط التي تبدأ من شهر نوفمبر (كسلو)، أما بقية أيام السنة فيلزم أن تكون القطعان في البراري البعيدة عن المدن، ومن هذا يتحقق لنا أن ظهور الملاك المبشِّر كان لهؤلاء الرعاة بالذات، الذين لم يكونوا رعاة عاديين بل من أصحاب الوظائف الهيكلية كما ينص التلمود.

---

٤- كتاب الترجوم هو الكتاب الذي كان يحوي ترجمة الأسفار الخمسة الأُولى من اللغة العبرانية القديمة إلى اللغة الآرامية التي بدأ يتكلَّم بها الشعب اليهودي بعد رجوعهم من السبي وهو يشمل مع الترجمة شرحاً مختصراً تقليدياً عن الربيين الكبار.

٥- كتاب المِشْنا هو ملخَّص للقوانين والتعاليم الهامة لأعاظم الربيين وطريقته في التعليم تعتمد على ترديد الحقائق للحفظ.

وهكذا تحققت تماماً رؤيا ميخا النبي بكل صفاء وجمال، إذ ظهر الملاك فعلاً لرعاة الذبائح الهيكلية من فوق هذا البرج...

ولكن لا يفوتنا هنا أن نلمح سر اختيار هؤلاء الرعاة الهيكليين بالذات دون جميع الرعاة، أليس المسيَّا عندما يجيء يكون هو الراعي الهيكلي الحقيقي؟... «**راعي الخراف العظيم**» (عب ١٣: ٢٠)؟

أليس هو أيضاً الذبيحة الحقيقية التي ستُقدَّم مرَّة واحدة ليبطل عهد الذبائح إلى الأبد؟ إذن، فكانت البُشرَى بمثابة إعلان عن الذي سيحل محلهم إلى الأبد! أو هي، إن شئت، تسليم وتسلُّم عهد لعهد، فقد جاء الراعي الحقيقي الذي سيرعى الخراف الناطقة، ليُقدِّمها ذبائح حيَّة بالطاعة والحب على مذبح القداسة.

إذن، فبشارة الملاك للرعاة لم تكن بغير ذات معنى، ومعناها عميق لأنهم أول مَنْ اختارتهم السماء ليُستأمنوا على سر الخلاص!

وكأنما شاء المسيح بصفته الحَمَلَ المعدَّ للذبيحة العُظمى أن يولد في بيت لحم في تخوم «ميجدال عدر»، حيث تولد الخراف عادة في قطعان الهيكل، ثم يُبشَّر هؤلاء الرعاة بميلاده، كحَمَلٍ بين الحملان، ويُؤمَروا بزيارته ليدخل أيضاً ضمن حراستهم فيكون منذ أول لحظة حملاً مُعدًّا للذبح!

## ليلة الميلاد:

من الأمور المدهشة حقًّا والتي لا يمكن أن نعزوها إلى الصُدَف، أنه في العهد القديم كان يوجد تقليد متوارث للصوم في اليوم التاسع من الشهر العاشر العبري ''تب هث''، ولكن أصوله الطقسية الأُولى وتفاسير تقديسه ضاعت من التقليد اليهودي، إلا أنه كان معروفاً لدى الربيين المفسِّرين للطقوس، **أن هذا اليوم يحوطه سرٌّ خاص وأنه سيتم فيه ميلاد المسيَّا، كما جاء في الكتاب الطقسي المدعو "ميجلات تانيث"** (ص ٢٠). **والعجيب في هذا الأمر حقًّا أن هذا اليوم يوافق في التقويم الغربي ٢٥ ديسمبر**، وقد قام بتحقيق هذا الموضوع العالِم الألماني ''زنر'' المتخصِّص في هذه الأبحاث في كتابه (طقوس المجمع اليهودي صفحة ١٢٦). وقد تحقَّق أنه في غضون ما بين سنة ٥٠٠م، ٨١٦م وافق مجيء هذا اليوم ٢٥ ديسمبر، ليس أقل من ١٢ مرَّة (علماً بأن التقويم اليهودي ليس دقيقاً تماماً لأنه مرتبط بالقمر).

**وهذا من شأنه أن يلفت نظرنا إلى أن تحديد هذا اليوم يحوطه سر عميق منذ الدهور، يدفعنا إلى تقديس هذا اليوم تقديساً يتناسب مع اهتمام الوحي الإلهي به.**

ومعلوم أن عيد الميلاد تحدَّد منذ بداية المسيحية – كما جاء في الدسقولية[٦] – ليكون في اليوم الخامس والعشرين من الشهر التاسع اليهودي ''كسلو'' وليس في اليوم التاسع من الشهر العاشر ''تب هث'' بفارق ١٣ يوماً وذلك

---

٦ - الدسقولية كلمة محرَّفة عن أصلها اليوناني ديداسكاليا Διδασκαλία أي كتاب التعاليم، وهو منسوب للرسل لأنه يحوي ضمن تعاليمه الأصول الأُولى التي استلمتها الكنيسة شفاهاً من الرسل، وله عدَّة أصول أهمها الأصل الإسكندري وهو يحوي تعاليم كُتبت على مدى الثلاثة أو الأربعة قرون الأُولى.

نظراً للتغيير الذي طرأ على التقويم اليهودي (الشهر القمري ٢٩ يوماً):

**[يا إخوتنا تحفَّظوا في أيام الأعياد التي هي أولاً عيد ميلاد الرب وكمِّلوه في اليوم الخامس والعشرين من الشهر التاسع الذي للعبرانيين "كسلو" الذي هو اليوم التاسع والعشرون من الشهر الرابع "كيهك" الذي للمصريين.]** (دسقولية ١٨)

وهذا اليوم الذي حدَّدته الدسقولية (في القرون الأُولى للمسيحية) يوافق ٦ أو ٧ يناير، وكانت الكنيسة كلها تعيِّد هذا اليوم، ولكن بعد التعديل الغريغوري الدقيق الذي أخذ به الغرب عام ١٥٨٢م اعتماداً على الحسابات الفلكية، عاد هذا اليوم مرَّة أخرى (دون أن يقصد الفلكيون ذلك) إلى وضعه الأول ليطابق ٩ "تب هث"، وهذا أمر يُدهَش له.

وقد استمرت الكنيسة في العصور الأُولى تصوم هذا اليوم فقط حسب الطقس القديم، قبل أن يتحدَّد صوم الميلاد بأربعين يوماً ثم بعد ذلك بثلاثة وأربعين يوماً، علماً بأن بدء دخول صوم الميلاد في الطقس القبطي جاء متأخراً وذلك في أيام البطريرك خرستوذولوس السادس والستين ١٠٣٩م، وهو الذي قام بتحديده وترتيبه (انظر: المجموع الصفوي ص ١٧٢ حاشية).

ولا يزال حتى الآن يحتفظ الطقس القبطي بأصل صوم اليوم الواحد قبل العيد الذي يدعوه البرامون (تفسير كلمة "برامون" παραμονή هو "**حفظ اليوم الواحد**".

## الملاك الذي بشَّر الرعاة:

+ «وإذا ملاك الرب وقف بهم ومجد الرب أضاء حولهم.» (لو ٢: ٩)

حسب التقليد المتوارث أن الملاك لا يصاحب ظهوره نور، إلا إذا كان بقصد الإعلان عن وجود الحضرة الإلهية، فالنور يكون دائماً تعبيراً عن المجد الإلهي.

ومعروف أيضاً أن الملاك الذي يُعلن عن الحضرة الإلهية، هو الملاك ميخائيل.

وقد جاء ضمن التعاليم الطقسية التي تختص بالعهد القديم في كتاب "المدراش"[٧] المدعو "شموث رابا"، وفيه تعاليم على سفر الخروج - أن ظهور الملاك ميخائيل يصاحبه دائماً نور الشاكيناه (الشاكيناه تعبير عبري عن الحضرة الإلهية المضيئة، وقد تخصَّص مكان ثابت لها ضمن خيمة الاجتماع في قدس الأقداس بين الكاروبين فوق غطاء التابوت حيث كان يتكلَّم الله مع موسى عند الضرورة). ويقول "المدراش" أن النار التي ظهرت في العليقة لموسى، كانت هي "الشاكيناه"، وكان الملاك واقفاً خلفها، وموسى كان يرى الرؤيا وحده أما الذين معه فكانوا يسمعون صوته ولا يرون شيئاً (وهذا نجده مطابقاً لحادثة رؤيا بولس الرسول تماماً، من جهة ظهور الرب وسط النور، ومن جهة عدم رؤية الذين معه لما كان يراه هو).

**إذن فظهور الملاك للرعاة لتبشيرهم بميلاد رب المجد كان يصاحبه**

---

٧- كتاب المدراش هو المختص بدراسة كافة التعاليم الشفهية التقليدية للأسفار والناموس الشفاهي المتوارث بالتواتر. وفيه تعاليم قانونية وتعاليم عبارة عن أحاديث متواترة.

**حضور إلهي، أي أن الرب كان حاضراً بنفسه في مجده، وهذا أمر واضح جدًّا من رواية الإنجيل «ومجد الرب أضاء حولهم»!!**

هنا إشارة سرية أن الرب عندما كان مضطجعاً في المذود في عتمة المغارة، كان يملأ السماء بمجده، وأن تجسده لم يغيِّر ولم يحدّ من صفاته الإلهية الفائقة!! «الذي نزل من السماء ابن الإنسان الذي هو في السماء.» (يو ٣: ١٣)

فإن كان المسيح قد ارتضى في تواضعه أن يُترك لدى عالم الإنسان بلا عناية، يحتضنه مذود للبهائم وتحوطه عتمة المغارة فهو لا يزال في عالم الروح تتبعه الملائكة والنور يحيط به، ألوف ألوف تسجد له، وربوات ربوات يقدِّمون له الخدمة!

## جمهور الجند السمائي المُسبِّحين:

حينما أكمل الملاك إعلانه للرعاة، كان بمثابة إشارة ظهر بعدها في الحال «جمهور من الجند السمائي مُسبِّحين الله وقائلين: **المجد لله في الأعالي، وعلى الأرض السلام، وفي الناس السرور.**» (لو ٢: ١٤)

هذه التسبحة المثلَّثة القُوى والمعاني تُذكِّرنا بتسبحة السيرافيم التي سمعها إشعياء النبي في رؤياه، فإن كانت التسبحة السيرافيمية استعلاناً نبوياً عن طبيعة الثالوث الإلهي المتساوي في القداسة والمجد، فتسبحة الميلاد الملائكية كشف عن صلة قداسة طبيعة الله ومجده في الأعالي بالسلام على الأرض والسرور في الناس!! أو بمعنى آخر أن السلام على الأرض وسرور الإنسان يتوقَّفان على تقديس الله وتمجيده!! وكأن الميلاد في نظر الملائكة في هذه

اللحظة يعبِّر عن هذه الصلة العميقة بين قداسة طبيعة الله و«سلام الأرض ومسرَّة الناس». **فتسبحة الميلاد الملائكية شرح توضيحي سرِّي لمعنى الميلاد وطبيعته!!**

## المجد لله في الأعالي:

مجد الله هو عظمته ورفعته، وإعطاء المجد لله شهادة لسموِّه اللانهائي فوق كل ما هو مخلوق ومُدرَك. فالله حسب تعبير بولس الرسول «**أبو المجد**»، أي الذي تُستمَدُّ منه كل عظمة وكل سمُوٍّ وكل انتقال من حال إلى حال أعلى، أي أن **مجد الله قوَّة ترفع الطبائع وتغيِّرها إلى ما هو أسمى**.

هنا تسبيح الملائكة بإعطاء المجد لله في الأعالي في لحظة الميلاد، هو تأكيد أن هذا التنازل الذي أجراه الله بتجسُّد كلمته في طبيعة بشرية لا يُنقِص ولا يَحُطُّ من مجد الله، بل هو إعلان جديد عن قدرته الفائقة في إخلاء ذاته. هذا هو مجد اتضاعه الذي أَخفى أَقوى صفات الله المدركة، وهي محبته التي ظهرت على الصليب مُنسحقة في صورتها الباذلة!

هذا الاتضاع صفة جديدة انكشفت للبشرية ولكنها من ذات صفات الله الصميمية لأنه اتضاع بالمشيئة لم تلوثه الخطية ولم يفرضه العجز، وقد ثبت المسيح في اتضاعه حتى النهاية دون أن تمسكه شهوة الأرض. لذلك لم يعُقه هذا الاتضاع عن قبول مجده الأول «والآن مجِّدني أنتَ أيها الآب **عند ذاتك** بالمجد الذي **كان لي عندك** قبل كَوْن العالم» (يو ١٧: ٥). فالمجد الذي ناله المسيح ثمناً لاتضاعه في الميلاد وطاعته على الصليب، صار مساوياً تماماً لمجده الأول الذي أخلى نفسه منه ليُكمِّل تجسُّده وصلبه!! لأننا نعلم

أن الآب مجَّده فعلاً «مجَّدتُ وأُمجِّد أيضاً» (يو ١٢: ٢٨) ورفعه وأجلسه عن يمينه في العظمة في السماويات فوق كل رياسة وسلطان واسم، **وهذا هو برهان التساوي المطلق "الأوموؤوسيوس أي من نفس ذات الجوهر"، الذي دافع عنه القديس أثناسيوس.**

هذا المجد الذي ناله المسيح **بالقوة** بعد أن كان له **بالطبيعة** «لتعلموا ... ما هي عظمة قدرته الفائقة **نحونا نحن المؤمنين حسب عمل شدَّة قوَّته الذي عمله في المسيح إذ أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه** في السماويات فوق كل رياسة وسلطان وقوَّة وسيادة وكل اسم يُسمَّى ليس في هذا الدهر فقط بل في المستقبل أيضاً.» (أف ١: ١٩ - ٢١)

هذا المجد الذي ناله المسيح بالقوة بمقتضى عمله الذي أكمله على الصليب وفي القبر، والذي أقامه أيضاً، قد صار لنا فيه - نحن المفديين بدمه - نَصيبٌ، إذ «**أقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات.**» (أف ٢: ٦)

وهكذا صار **مجد المسيح** الذي اكتسبه باتضاعه وطاعته، هو **مجْدَنا** نحن أيضاً: «**أنا قد أعطيتُهم المجد الذي أعطيتَني.**» (يو ١٧: ٢٢)

هنا يتبيَّن عمق تسبحة الملائكة بالذوكصا الكُبرى «**المجد لله في الأعالي**» في لحظة اتضاع التجسُّد في الميلاد، باعتبارها استعلاناً وشهادة ونُبوَّة، بأن هذا الاتضاع عتيد أن يتمجد بكل مجده ويُزاد عليه شركة البشرية المفدية، فيكون لها نصيب في هذا المجد أيضاً ...

## وعلى الأرض السلام:

«**سلامي أترك لكم سلامي أعطيكم ليس كما يُعطي العالم أعطيكم أنا**» (يو ١٤: ٢٧). في لحظة الميلاد دخلت البشرية بالفعل في **عهد مصالحة وسلام مع الله**، إذ ظهر يسوع الطفل "**ابناً لله وابناً للإنسان**". وهنا يبلغ الصلح والسلام بين الله والإنسان أقصى مفهومه العملي وأبلغ آيات صدقه، بل ويصير سلاماً أبدياً ما دام المسيح!

ولكن يظل السلام في القلب رهين الإيمان بالمسيح وتدخُّله، لا كمُصالِح بشخصه فقط، بل كفادٍ بدمه. إذ يظل الإنسان مُتغرِّباً عن سلام الله الحقيقي حتى يقبل فعل الدم الإلهي في كيانه الروحي وضميره!! وفي اللحظة التي يحس فيها الإنسان بضمير مُطَهَّر من الخطايا بغسل دم المسيح، حينئذ يقبل سلام الله الحقيقي الذي يفوق كل عقل.

لقد كانت تسبحة الملائكة بالسلام على الأرض لحظة الميلاد حقيقة فعلية للسلام الذي بدأ بتصالح الطبيعتين (البشرية واللاهوتية) في شخص المسيح بالميلاد، وكمل على الصليب بالكفَّارة عن كل خطايا الإنسان!!

## وفي الناس السرور:

إن جوهر المسرَّة كائن في **الوجود مع الله والقُرب منه**، أما الحزن والبكاء والتنهُّد مع اليأس والندم فهي حقيقة البُعد عن الله والحرمان من حضرته والوقوع تحت إحساس قصاص عدله.

وهذا السرور قد صار لنا "بميلاد المسيح" الذي تعبيره اللاهوتي هو

**"دخول الله إلى العالم"** أو **"حلول الله بيننا"**، لأن معنى أن يحل الله في جسد إنسان هو فتح الله (أي أن الله فتح) لباب المودَّة وتأسيس علاقات مع الإنسان وتكوين دالة شخصية معه. وأن يأتي إلينا الله معناه أنه **رضي أن نذهب إليه!**

هذه المودَّة وهذه الدالة وهذا **المجيء والذهاب** عن طريق يسوع هو منتهى الرجاء ثم منتهى السرور!

«المجد لله في الأعالي، وعلى الأرض السلام، وفي الناس المسرَّة»،

هذه التسبحة الملائكية المثلثة القوى هي استعلان كامل لطبيعة الملكوت الذي أدخله المسيح إلى العالم يوم ميلاده العجيب المملوء أسراراً.

(يناير ١٩٦٨)

# كتب ومقالات عن التجسد وميلاد المسيح

## للأب متى المسكين

| كود | إسم الكتاب |
|---|---|
| ١٥ | أعياد الظهور الإلهي (**مُجَّمع لمقالات أعياد الظهور الإلهي**) |
| ٦٣ | التجسدالإلهي |
| ٦٨ | ميلاد المسيح وميلاد الإنسان |
| ١٩٤ | كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن الله |
| ١٩٦ | أنشودة التجسد |
| ٣٣٨ | ميلاد المخلِّص |
| ٣٣٩ | حكماء من المشرق |
| ٣٤٠ | رسالة الميلاد لنا اليوم |
| ٣٤١ | السماء تتهيأ لنزول الابن |
| ٤٧٣ | صوم الميلاد شهر الخلاص |
| ٤٧٤ | وُلد لكم اليوم |
| ٤٧٥ | أتى المسيح إلينا فكيف نأتي إليه |
| ٤٧٦ | المسيح عطاء الله للبشرية |
| ٤٧٧ | في وسطكم قائم |
| ٣٧ | الإيمان بالمسيح |
| ١٧٢ | المسيح ابن الله |
| ١٧٩ | عمانوئيل |
| ٣٧٦ | السلام لك يا بيت لحم |
| ٣٨٠ | مسيح العالم كله |
| ٣٨٢ | تأملات في التجسد وميلاد المسيح |
| ٣٨٣ | ميلاد ابن الله ورجوع آدم وذريته إلى الله |

# التسجيلات الصوتية لعظات الأب متى المسكين

- ☐ ١/٧٤ بيت لحم مسقط رأسنا
- ☐ ٣/٧٦ الطفولة الروحية
- ☐ ١/٧٧ ملكيتنا لميلاد المسيح
- ☐ ١/٧٨ التجسد فرح الخلاص للبشرية الحزينة
- ☐ ١/٧٩ ملكوت الله والوجه غير المنظور للميلاد
- ☐ ٢/٧٩ العهد القديم يمهد لملكوت الله (كلمة موجهة للرهبان صباح عيد الميلاد)
- ☐ ١٥/٨١ انتظار مجيء المسيح (١) (له بقية على شريط ١/٨٢)
- ☐ ١/٨٢ (بقية العظة السابقة) انتظار مجيء السيد المسيح (٢)+ عظة عيد الميلاد المجيد
- ☐ ١/٨٣ هذا هو اليوم الذي صنعه الرب
- ☐ ٢/٨٣ معجزة الميلاد البتولي ومعجزة خلاصنا
- ☐ ١/٨٤ زيارة المجوس وتحقيق نبوات العهد القديم
- ☐ ١/٨٥ نبوات الأنبياء عن ميلاد المسيح (١)
- ☐ ٢/٨٥ نبوات الأنبياء عن ميلاد المسيح (٢)
- ☐ ١٦/٧٩ العظة على الجبل (التطويبات) (١) (رفاع صوم الميلاد)
- ☐ ١٧/٧٩ العظة على الجبل (التطويبات) (٢)
- ☐ ١/٩٤ م ميلاد ابن الله ليس زمنياً (رأس السنة ١٩٩٤)
- ☐ ١/٢٠٠١ ميلاد ابن الله ورجوع آدم وذريته إلى الله
- ☐ ٧٤/ ١٠ هروب المسيح إلى أرض مصر (١)
- ☐ ١٠/٧٤م هروب المسيح إلى أرض مصر (٢)